عنوان المحاضرة : نسق الكتابة الروائية الجديدة في المغرب العربي

مماهو معلوم أن نسق الكتابة الجديدة في الرواية المغاربية هو مخالف لنسق الكتابة الروائية التقليدية، الذي تركه كُتاب الراوية المغربية ، وسنتعرض لأنساق الكتابة الروائية الجديدة فيمايلي:

أولًا – نشأة الرواية الجديدة وتطورها :

إن مصطلح الرواية الجديدة هو حديث الوضع والاستعمال في مجال الكتابة الروائية في المغرب العربي ،وسنحاول معرفة جذوره وتطوراته .

1 -مفهوم الرواية الجديدة Nouveau Roman :

إن الرواية الجديدة تسمية فرضت نفسها في فرنسا في أواخر خمسينات القرن الماضي للدلالة على خليط من الكتاب بالاستناد إلى التجديدات التقنية لكبار روائيي الحداثة (بروست ، جويس، كافكا، وولف) وقد جمعت " الرواية الجديدة" في فترة وجودها مجموعة من الكتاب (بيتور، سيمون، دوراس، بيكيت) ذوي الأساليب المختلفة في حركة تفتقر إلى التنسيق الملموس بعد أن ميزت التفكير النظري عن طبيعة العمل الروائي.

وتطلق عبارة الرواية الجديدة على أعمال ظهرت عام 1950 للإشارة إلى فئة كُتاب يلجؤون إلى تقنيات جديدة لكبار روائيي الحداثة، ورفضوا التقنيات السردية الكلاسيكية ومُستبعدين من اهتمامهم السارد الحاضر باستمرار والشخصية والحبكة، وتكسير التسجيلية ، واعتماد المقطعيات الهلوسية ، واعتماد الوصف الدقيق للأشياء نازعين إلى هجر (الإيهام الإحالي) وسائلين اللغة لإبراز انشغال الإنسان، ولقد ارتبطت الرواية الجديدة بدورها في المناخ الثقافي الفرنسي للبنيوية والنقد الجديد، الذين قدّما تسويغات للبحث الروائي الجديد .

وتأسست الرواية الجديدة على طمس الشخصية لتخلق عالمًا قاسيًا جامدًا عالمًا يكتفي الإنسان بالنظر إليه ، والأشياء فيه ليست ملكًا للشخصيات ، بل هي ملك للأشياء ، والقاعدة العامة التي تتأسس عليها بنية الرواية الجديدة من الناحيتين الفنية الجمالية والفكرية الموضوعاتية ، كونها متعددة ، ولاتخضع لمقاييس دقيقة متعارف عليها بين أصحابها .

وقامت الرواية الجديدة كثورة ضد الأسس التي قامت عليها الرواية التقليدية ، وحاولت القضاء عليها لتفرض نمطًا جديدًا من الكتابة الروائية ، وفي هذا الصدد إذا كانت الرواية الأوروبية قد انتهكت شكل الرواية الغربية بتنويعاتها الواقعية والوجودية وصيغتها الكلاسيكية أيضًا عبر إلغاء حضور الشخصية الروائية أو إلغاء الحركة في الزمان أو جعل المكان هو الشخصية الفاعلية في النص الروائي، فإن الرواية العربية الجديدة حملت الرغبة ذاتها لانتهاك شكل قار ثابت ، وأخذت الرواية العربية الجديدة بعض ملامح الرواية الفرنسية الجيدة ، ولكنها لاتنسب إلى الأفق نفسه .

ومنه فقد ظهرت الروائية الجديدة لتعبر عن توجه جديد في الكتابة الروائية ، وقد ارتبطت على وجه الخصوص بالرواية الفرنسية الجديدة عند كتاب الحداثة من أمثال : بروست ، كافكا، وولف ، بيتور، سيمون، دوراس، بيكيت ومامميّز الروائية الجديدة هو ثورتها على تقاليد الكتابة الكلاسيكية وجماليتها .

2 -أنواع الرواية الجديدة :

أما بخصوص أنوع الرواية الجديدة التي تعرف عليها النقاد فهي وليدة المدارس التالية :

أ - المدرسة النفسية الباطنية :

وهي نزعة نفسية اعتمدت على مركزية اللاشعور الفرويدي ، وتتخذ من المونولوج الداخلي قاسمًا مشتركًا تدير عليه إبداعاتها .

ب - المدرسة الشيئية :

تسمى المدرسة الشيئية كذلك مدرسة النظرة ، وهي التي تجعل من فكرة الشيء بديلًا للإنسان الشخصية الروائية البالزاكية، فهو الموضوع عوضًا عن الأنسنة .

ومن النقاد من يرى أن هذا التقسيم هو مجحف ، وقد جرى هذا التقسيم نتيجة التأثر بمفاهيم العلوم التجريبية الحدثية التي مست فنون الأدب بما فيه جنس الرواية .

3 -أهداف الرواية الجديدة :

ومن خلال النظر في مكونات الرواية الجديدة نستخلص مقاصد الكتاب التالية :

أ -إبراز الاختلاف الفني والدلالي لنصوص "الرواية الجديدة" قياسًا إلى روايات سابقة لها زمنيًا .

ب استخلاص بعض السمات اللافتة في تشكيل "الرواية الجديدة" ومرجعيتها ، تمهيدًا لإعادة صوغ سؤال الرواية العربية في ضوء العناصر المستجدة في الواقع والمعرفة والتركيب الفني.

4 - تطور شكل الكتابة الروائية :

هناك خاصية عامة تسم النصوص الروائية الجديدة ، وهي مانُطلق عليه تذويب الكتابة ؛ أي حرص الروائي على إضفاء سمات ذاتية على كتابته ،وذلك من خلال ربط النص بالحياة والتجربة الشخصيتين ، وجعل صوت الذات الكاتبة حاضرًا بين الأصوات الروائية لتمييز محتوى النص عن الخطابات الأخرى .

إن الكتابة الروائية الجديدة ليست بلاجذور ، وإنما هي أحداث ماتوصل إليه التصور الكتابي في العالم الغربي المعاصر، فلقد مرّت المغامرة الروائية بمراحل بارزة في تطورها،منذ نشأتها التقليدية وحتى إنجازات المذاهب الأدبية ورغم أن هذه المذاهب الأدبية قد أحدثت تطويرات جزئية في التقنية الروائية،إلا أن الرواية ظلت معها تحمل هويتها حتى جيمس جويس وماسيل بروسيت ألغيا بعدي الزمان والمكان ودمرا الحواجز بين الرواية والشعر، ونزعا صمام الأمان اللاوعي، فتدفق المونولوج حرًا كالمهرة في الموج الخضراء ثم استكمل فرسان "الرواية الجديدة" المغامرة الروائية، فأطلقوا آخر رصاصاتهم على جثة الرواية التقليدية، ورفعوا شعار "اللارواية" ، وضد الرواية والرواية الجديدة من أجل إفساح المجال أمام الأشياء كي تسفر عن ذاتها بحرية ميلودرامية وحياد باد، وموضوعية تامة،وهكذا تبدو مغامرة التجريب في الحقل الروائي ذات أبوة شرعية ،يلتقي فيها التفاعل الحضاري بالمثاقفة الضرورية، والحداثة الغربية بالواقع المحلي ، وحصل تطور الكتابة الروائية في إلغاء الحواجز بين الرواية والشعر ، ومنه الجمع بين أجناس أدبية عديدة كفن الرسائل والمقامة إلى جانب فنون أخرى كالموسيقى والسينما..الخ ، والاسترسال في الكتابة الروائية وخوض مغامرة التجريب .

ثانيًا – تمثل التاريخ في الكتابة الروائية المغاربية الجديدة :

حصل توظيف المادة التاريخية عند الكتاب بطرق مختلفة، ومن الروايات التي استقت التاريخ كمنطلق لها نجد الروايات التالية :

1 -الكتابة التاريخية في رواية "مجنون الحكم" 1990 لابن سالم حميش :

جمع الكاتب في سرد روايته "مجنون الحكم" بين التخيل والتوثيق التاريخي في رسم شخصيته المعقدة المتناقضة التي يحكمها الحدة والعنف، وأجمل ما في الرواية الحوارات،التي أجراها الكاتب على لسان الحاكم بأمر الله حيث ساهمت في إيضاح أفكار الحاكم وأفعاله، وهي ليست رواية تاريخية تقليدية،بل رواية تتخذ من التاريخ أساسًا لها تبدو كبحث تاريخي يتناول شخصية الحاكم وفترة حكمه،وهناك فرق بين الرواية التاريخية، والرواية التي توظف التاريخ كمادة فنية والنوع الثاني من الرواية هو صعب على الكتاب لمايتطلبه من تقنيات فنية وبراعة في صياغة الموضوع.

أ –السرد التخييلي التاريخي في الرواية :

يتمحور السرد في رواية "مجنون الحكم" لابن سالم حميش حول فترة حكم الخليفة الفاطمي أبي علي منصور الملقب" بالحاكم بأمر الله "، وتركز السرد بذلك حول شخصيته،التي جلا الروائي من خلالها معالم الحياة السياسية في تلك الفترة التاريخية، وماشهدته من أحداث واضطرابات، واتبع الروائي نمط الكتابة التاريخية في روايته "مجنون الحكم"ظهر ذلك في طريقة بنائها، حيث تقوم على توظيف المفاصل الرئيسية للحادثة التاريخية من كتب التاريخ ومؤلفات المؤرخين وإضافة وحدات سردية جديدة يقتضيها التخييل،الذي يقوم عليه البناء الفني للرواية، لقد استقى الكاتب مادة فصل "السلطانة ست الكل"من كتب المؤرخين أمثال:ابن الصابئ في كتابه "كتاب التاريخ"، وابن القلانسي في كتابه "ذيل تاريخ دمشق "، ولكنه لم يتقيد بالمعلومات التاريخية بحذافيرها، بل أضاف إليها وحدات سردية جديدة متخيلة كالعثور على ثياب الحاكم بأمر الله في جبل المقطم، ملطخة بالدم بعد ثلاثة أيام من اختفائه ، ومشهد موت السلطانة ست الملك، وركز بن سالم حميش حكيه حول شخصية الحاكم بأمر الله ، واهتم بإبراز دور وعي الإنسان للتاريخ من خلال توظيف الموقف منه ، وإسقاطه على الحاضر، وإسقاط الحاضر عليه .

ب –توظيف شكل الكتابة التاريخية :

وظف بن سالم حميش شكل الكتابة التاريخية في رواية مجنون الحكم على مستويي الأسلوب واللغة :

- أسلوب الكتابة التاريخية :

اقتبست رواية "مجنون الحكم" أسلوب السرد التاريخي،وأفادت منه في تقديم المادة التاريخية، وظهر فيها تأثير أسلوب السرد عند ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية"، وابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" واضحًا في السرد الروائي من خلال اعتماد الروائي في الفصل الأول من الباب الأول المنهج نفسه الذي اعتمده ابن الأثير وابن كثير في تدوين أحداث ، وهو ذكر السنة وماحدث فيها من أحداث، والمقارنة بينهما تكشف العلاقة المشتركة بينهما على مستويي مادة السرد وأسلوبه .

- لغة السرد التاريخي :

احتلت لغة السرد التاريخي حيزًا كبيرًا في رواية "مجنون الحكم"، وتتبدى من خلال أقوال المؤرخين المتناثرة وفي ثنايا السرد الروائي، وكذلك من خلال أقوال الشخصيات التاريخية، وظهرت أيضًا من خلال تقليد لغة الرواية للغة

المؤلفات التاريخية في التراث العربي ، فبالإضافة إلى وجود ألفاظ غير مألوفة منتزعة من لغة التاريخ ، تتبدى لغة التاريخ من خلال صفاتها وخصائصها كاعتماد الكنايات مثل:"يهوى من يكسر ثقالته وتقاليده، ويقض مضاجعه".

ولايقتصر توظيف الرواية للغة التاريخ على المفردات والتراكيب، وماتتميز به من الغرابة، والخصائص الفنية : كالسجع والكناية، بل يتعداها إلى توظيف نسق التركيب اللغوي المنتمي إلى الماضي، والموجود في كتب التاريخ وهذا ماظهر من خلال توظيف الرواية لأساليب الأقدمين في كتابة السجلات، وتبليغ القرارات والمراسيم.

وأشكال تقديم الشخصية التاريخية في رواية "مجنون الحكم"هي ثلاثة:استخدام: ضمائر المتكلم والغائب والمخاطب وبيَّنا دلالة كل شكل فاستخدام ضمير المتكلم يقرب بين الماضي والحاضر، ويجعل الشخصية التاريخية شخصية حية وأما استخدام ضمير المخاطب فيوضح تجهله الشخصية التاريخية ، وأما استخدام ضمير الغائب، فيجعل الراوي يؤدي دور المؤرخ، ولذا حاول بعض الروائيين التخلص من الشك بصحة المعلومات عن طريقة استخدام الهوامش والإحالات وذكر المصادر في آخر الرواية، ووظف أسلوب السرد في كتاب "البداية والنهاية لابن كثير، وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، ومنه ظهر جديد الكتابة الروائية في رواية مجنون الحكم لابن سالم حميش في توظيف شكل المادة التاريخية ، واستخدام أساليب لغوية وبلاغية ذا نمط تاريخي.

2- توظيف المادة التاريخية في رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد"2004 واسيني الأعرج :

ومن الروايات التي وظفت شكل الكتابة التاريخية رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد " لواسيني الأعرج حيث استثمر واسيني الأعرج التاريخ في" كتاب الأميرمسالك أبواب الحديد "،التي اختلفت عن روايات تاريخية من حيث طريقة توظيفها لهذا التاريخ ،فتعج رواية" كتاب الأمير "بالكثير من الشخصيات التاريخية والمتخيلة على السواء فمن الشخصيات المتخيلة التي زادت من تلاحم الواقع بالغوص في أدق تفاصيل، وساهمت في نمو الأحداث وتطورها –إلى جانب شخصية الأمير– أمثال : سيدي الأعرج والقوال والبراح والأطفال، الذين كانوا يطاردون كلابًا يسدون بها رمقهم والمربية نورا، والعجوز خناتة والرجل الأحدب وغيرهم، والصفات التي اتصفت بها هذه الشخصيات المتخيلة أو الأدوار التي أسندها إليها الروائي جعلها قريبة من الشخصيات التاريخية أو نسميها شبه تاريخية.

وهكذا فقد تأسست رواية" كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد "على جوانب تاريخية وأخرى فنية، والرواية بهذا المعنى تمثل تناصًا مع التاريخ ومع قصة كتاب عبد القادر .

ومما سبق نلاحظ أنه في الروايتين "مجنون الحكم" و"كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد"حصل التركيز على شخصية بطل الرواية، وهي حقيقية تجسدت في شخصية الخليفة الفاطمي أبيٌ علي منصور (مجنون الحكم) وشخصية الأمير عبد القادر (كتاب الأمير) وكما أن الكاتبين اتخذا من الكتابة التاريخية كشكل وأسلوب تعبيري، و للخيال دور في الروايتين الذي أضفى عليهما طابع جمالي، ومنه فقد وُفِق ابن سالم حميش وواسيني الأعرج في كتابة الرواية التي استقت مادتها من أحداث التاريخ ، ووظف تقنيات الكتابة التاريخية من أسلوب ولغة وأحداث....الخ.

ثالثًا – تمثل الدين في الكتابة الروائية المغاربية الجديدة :

وظفت الرواية المغاربية المعاصرة النص الديني لأغراض فنية، ولم يقتصر الأمر على القرآن الكريم والحديث الشريف فهناك من تعداه إلى توظيف نصوص الكتب المقدسة :

1 –توظيف النصوص الدينية في روايات إبراهيم الكوني :

مماهو معلوم أن إبراهيم الكوني نشأ في الصحراء ، وهي معقل الثقافة الدينية والتصوف ، وظهر أثر المادة الدينية واضحًا في روايتيه نزيف الحجر و التبر" .

أ– تجليات الدين رواية في نزيف الحجر 1990 لإبراهيم الكوني :

نجد أن رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني يتصدرها نصان دينيان هما : أولهما: نص الآية :قال تعالى:« ومَامِن دَآبَّةٍ فِي الأَرضِ، ولا طائر يَطِيرُ بجناحَيه إلَّا أُمَمٌ أمْثالُكُم».الأنعام الآية 38

ثانيهما : نص المقدس من سفر التكوين جاء فيه:«وحدث إذا كانا في الحقل أن قابيل قام على هابيل أخيه وقتله».

إن فكرة النص القرآني هي لفت انتباه الإنسان إلى أن الحيوانات والطيور تعيش في مجتمعات جماعية تشبه المجتمع البشري ، وتبنى حياتها على نظام معين، وأما النص التوراتي فيتعرض لقصة قتل قابيل لأخيه هابيل بدافعي الحسد والحقد ، وقد وظف الروائي النصين الدينين السابقين بوصفهما يلخصان الحدثين اللذين يدور حولهما السرد وهما وصف حياة بعض الحيوانات، والدخول إلى أسرار حياتها من خلال علاقة بطل الرواية "أسوف"وأما تصدير الرواية بالنص الديني الآخر، فيلخص القسم الثاني من أحداث الرواية،وهو إقدام قابيل بمساعدة الضابط الأمريكي "جون باركر"على قتل الحيوانات البريئة، وسفك دم"أسوف"بدافع حب القتل وسفك الدماء، وهكذا فإن النصين الدينيين صدر بهما إبراهيم الكوني روايته "نزيف الحجر" وُظِفا بوصفهما شاهدين على قداسة الحيوانات من جهة وتهديم الإنسان للحياة على الأرض عبر قتله لحيواناتها وإنسانها من جهة أخرى، وإن الدواعي وراء توظيف أسطورة "قابيل وهابيل"في "نزيف الحجر" تحدد في مجملها بالتشابه بين مايحدث في الحاضر وماحدث في الماضي،وأدى هذا التشابه إلى تداخل العالمين الأسطوري والواقعي ، وتوحدهما في عالم واحد أمحت فيه الفواصل بين الأسطورة والواقع.

ب– النص الديني في رواية "التبر" 1990 لإبراهيم الكوني :

استقت رواية "التبر" 1990 لإبراهيم الكوني مادتها من النصوص القرآنية ، حيث يتصدر النص الديني أحيانًا أجزاء الرواية وأقسامها ،التي زخرت بالنصوص الدينية ، التي وظفت بوصفها شواهد على مايدور حول ذبح "أوخَيِّد" بطل الرواية لمهره ، وإنَّ غاية إبراهيم الكوني ليس تقديم مواعظ ، وإنما أراد الإشارة إلى الجانب الإنساني في الإنسان وتعايشه مع الحيوانات ، و إبراهيم الكوني على اطلاع كذلك بنصوص الإنجيل .

وقد استلهم إبراهيم الكوني العديد من رموز التراث العربي القديم ، وأشكال احتذائه للتراث نذكرها كالتالي :

- تراث البيئة المحلية في روايات إبراهيم الكوني :

تحتل الصحراء حيزًا كبيرًا في الرواية العربية ، وقد رصد إبراهيم الكوني في رواياته وقصصه المعالم الجغرافية والحياة الاجتماعية والروحية في الصحراء الليبية الكبرى .

- الصوفية: فالصحراء مكان مناسب لظهور الصوفية في رواية "التبر" 1990 وشكلت الرواية الفكرية التي ترتكز إلى الصوفية نسيج العمل الروائي كله .
- العادات والتقاليد والمعتقدات : ركز إبراهيم الكوني على عادات وتقاليد قبيلته الصحراوية "الطوارق" .

• توظيف الأساطير: أدى اهتمام الكوني بالمعتقدات الشعبية لأهل الصحراء إلى توظيف الأساطير بوصفها تحتل مكانة بارزة في الماضي السحيق لمجتمع الصحراء من جهة،والدافع إلى ذلك هو اهتمامه الكاتب بتصوير المجتمع، ولقد شكل عملا الكوني "نزيف الحجر والتبر" ثنائية روائية تصف العلاقة المدهشة التي تقوم بين إنسان وحيوان في الصحراء في الرواية الأولى، وأما الرواية الثانية فإن الكاتب يبلغ العلاقة درجة الأخوة الصافية، وإن واحدة من الروايتين تطلع من الأخرى، ومالم تقله "نزيف الحجر"عن الطبيعة الغادرة للإنسان تقوله رواية التبر وفي هذا السياق من تعالق النصوص الروائية نقول أن إبراهيم الكوني يشكل عالمه الروائي من المفردات والعناصر نفسها،إذ تقوم بتوسيع منظوره للأشياء والعالم وجوهر الوجود من خلال تفحص هذه العناصر وإعادة النظر فيها عملًا روائيًا .

2- تجليات الدين في رواية النفير والقيامة 1985 لفرج الحوار:

شكل المصدر الديني الأساس الذي تأسست عليه رواية فرج الحوار"النفير والقيامة" فبالإضافة إلى استدعاء الشخصيات الدينية كشخصية "المهدي" وشخصية "الدجال" التي أفادت الرواية من صفاتها في تصوير شخصية "حوت القرش" ثمة حضور للنص الديني لاعن طريقة التناص فحسب، بل يتعداها إلى طبع الرواية بأسلوب النص الديني.

أ -توظيف أسلوب النص القرآني في رواية " النفير والقيامة" :

تأسست لغة الشخصيات ولاسيما لغة شخصيتي المهدي والراوي على لغة القرآن الكريم، التي يتضاءل حضورها في النص الروائي حتى تبلغ كلمة واحدة فقط ، ويرجع الحضور الطاغي للنص القرآني في نص الرواية إلى أمرين هما:

* طبيعة الشخصيات، فشخصية المهدي هي شخصية دينية، ومن الطبيعي أن يكون حديثها ذا طابع ديني .
* الرؤية التي تتبناها الرواية هي رؤية دينية .

وهدف فرج الحوار من وراء توظيف النص القرآني إلى التأسيس لرواية عربية خالصة معنًى ومبنًى،لذا سعى إلى توظيف اللغة القرآنية مفردات وتراكيب وخصائص فنية وجمالية ، وظهر اعتماد الكاتب جليًا على إيقاع موسيقي خلقته الجمل المتوازنة من جهة ، واعتماد الفاصلة القرآنية من جهة أخرى .

ب- أشكال التناص الديني في رواية "النفير والقيامة" :

استخدم فرج الحوار في روايته "النفير والقيامة" قوانين تناص عديدة ومنها :

ب-1/ قانون الاستبدال في رواية "النفير والقيامة" :

نجد هذا الشكل من العلاقات بين النصوص في رواية فرج الحوار "النفير والقيامة" حيث يتناص كلام "المهدي" مع الآيات الكريمة والأحداث الشريفة والتراتيل الدينية، فيقول"ذلك الوعد لاريب فيه منارًا للصادقين الذين يؤمنون بالحرب ويشحذون الهمم ، ومما أغدقنا عليهم من حزم ينفقون... وهنا يتناص مع الآيات الأولى من سورة البقرة .

وتوضح المقارنة بين النصين أن النص اللاحق يحاور النص السابق، ويتأسس عليه ،ويعيد كتابته من جديد، وتتبدى آلية اشتغال النص اللاحق على النص السابق من خلال الاستبدال، حيث يتم استبدال كلمات أخرى من خارج النص المرجعي ببعض الكلمات من النص السابق،فالنص القرآني يفرق بين المؤمنين والمنافقين،وتتبع رواية "النفير والقيامة " في توظيفها النص القرآني مبدأ المقابلة من جهة، ومبدأ المغايرة من جهة أخرى والجدول التالي يوضح مبدأ المقابلة

القرآن الكريم	رواية "النفير والقيامة "
المؤمنون بالله ورسوله	المؤمنون بقضايا الوطن والمخلصون للشعب
المنافقون وعلاقتهم بالكفار	الخونة وعلاقتهم بالأعداء

أما المغايرة فتتم من خلال تغيير الكلمات ، واستبدال بعضها ببعضها الآخر ؛ أي أن قانون الاستبدال الذي اعتمده النص الروائي في تعامله مع النص الغائب أدى لإنتاج دلالة جديدة :

القرآن الكريم	رواية "النفير والقيامة "
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة	الذين المؤمنون بالحرب ويشحذون الهمم
ومما رزقناهم ينفقون	ومما أغدقنا عليهم من حزم ينفقون

وهكذا فإن النص اللاحق "الرواية "يتأسس على النص السابق"القرآن، ومن ثمَّ يقترف عنه مؤكدًا خصوصية واستقلاله الأمر، الذي أدى إلى حذف بعض الكلمات والجمل من النص السابق،وإضافة كلمات وجمل جديدة أدت لدلالات جديدة وقام الراوي بتحوير النص الديني عبر الاستبدال ،ليجعله مناسبًا للفكرة التي يريد التعبير عنها، وهي تصوير مايجد في الواقع ،أي أن الراوي وظف النص الديني للتعبير عن الواقع المعيش، بعد أن أجرى عليه تغييرًا مس دلالته فقط، وإذا كان النص القرآني يتحدث عن نوعين من الناس،فإن النص الروائي حافظ على المعنى العام للإيمان والنفاق ، ومنه ظهرت أشكال عديدة للتناص الديني في رواية "النفير والقيامة لفرج الحوار ، وكان اشتغال التناص من خلال قوانين الاستبدال والمغايرة ، وقد وظفت المعنى العام للآيات القرآنية .

ب-2/ قانون السياق Context : ويتجلي في النقاط التالية :

-المحافظة على السياق في رواية "النفير والقيامة" استدعى المشهد الذي يصفه "المهدي"في رواية "النفير والقيامة، وهو وصف لما يحدث في مجتمع الرواية من دمار وخراب ،استحضار الآية الكريمة التي تتحدث عن قيام الساعة .

- تغيير السياق في رواية "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المشائل،وإن عملية توظيف سياق النص الديني تأخذ منحنيين،فإما أن تتجه إلى المحافظة على السياق، وفي هذه الحالة تكون العلاقة بين النصين علاقة تشابه، وإما أن تتجه إلى المغايرة،وفي هذه الحال يختلف النص اللاحق عن النص السابق.

ب-3/ قانون القلب رواية "النفير والقيامة" :

نعني بقانون القلب تغيير دلالة النص المرجعي ، ونجد مثال ذلك في قول الناس ،وهم يستقبلون "حوت القرش" في رواية فرج الحوار "النفير والقيامة" **"أقبل الحوت علينا من ظلمات البحار..الخ** ، ويتناص المقبوس مع النشيد **"أقبل البدر علينا "**، و بنى فرج الحوار في روايته "النفير والقيامة على ماورد في بعض المؤلفات التراثية من تنبؤات بما سيحدث قرب نهاية العالم ، ولقد حاكى كتب الأخرويات في هذا المجال .

- على مستوى بناء الأحداث : صوَّر فرج الحوار في روايته النفير والقيامة أحداثًا تشبه تلك الأحداث التي تتحدث عنها كتب الأخرويات، وإن رواية "النفير والقيامة" لفرج الحوار لاتنسخ النص الديني ، ولاتطابقه بل تنحرف عنه بسبب طبيعته الواقع الذي ترصده ، وهكذا فإن بنية الرواية توازي بنية النص التراثي ، ولكنها لاتماثلها .
- وعلى مستوى السرد : ينهض بناء السرد في كتب أشراط الساعة على التنبؤ بما سيحدث قرب نهاية العالم، وقد حاكاه السرد الروائي في اهتمامه باستشراف المستقبل البعيد ، والتنبؤ بما سيجري .
- على مستوى الشخوص : يقتضي الحديث عن القيامة وعلاماتها وماسيقع في آخر الزمان ذكر الدجال،الذي يثير فتنة كبيرة الناس، ولما كانت رواية "النفير والقيامة" تتحدث عن القيامة بوصفها ذلك اليوم المشهود .

واستغل السارد شخصية أعور الدجال من كتب أشراط الساعة، وصور شخصية "حوت القرش" في ضوئها ورمز بشخصية أعور الدجال للسلطة الشريرة، فجاءت شخصية "حوت القرش متطابقة مع شخصية أعور الدجال".

3- توظيف البنية الدينية في رواية "حدث أبو هريرة قال"1973 لمحمود المسعدي :

تعد رواية محمود المسعدي حدث أبو هريرة قال" أول رواية عربية حديثة توظف التراث السردي، إذ بدأ مؤلفها بكتابتها عام 1944 ولم ينشرها إلا في عام 1973 ،وهي بذلك تعد رائدة على مستوى توظيف الرواية العربية المعاصرة للتراث،ولكن توجه رواية حدث أبو هريرة قال" إلى توظيف التراث السردي لايعني ن ظاهرة توظيف الرواية العربية للموروث القصصي بدأت مبكرًا ،ويحمل عنوان الرواية دلالتين أولاهما: تتأتى من الفعل "حدث" الدال على الحديث وعلى فعل إنتاج الكلام الذي يقوم به متحدث ،وثانيهما:تتأتى من اسم العلم "أبي هريرة" الذي يذكرنا بشخصية الصحابي الجليل أبو هريرة (رضي الله عنه)الذي يعد محدثًا برواية الحديث عن الرسول محمد (ﷺ) وكل هذا دل على رغبة الكاتب في تشييد بنيان روايته على الشكل الفني للموروث واشتغلت رواية حدث أبو هريرة قال" على فن الحديث بقسميه "الإسناد والمتن" فجاءت الأحاديث التي تشكل بمجموعها الرواية شبيهة بالأحاديث الدينية من حيث اعتمادها الإسناد والمتن، فكل حديث يبدأ بذكر راوي الحديث الذي تعدد في الرواية ، فثمة رواة كثيرون رووا الأحاديث الاثنين والعشرين، ومنهم "أبو المدائن" الذي استأثر برواية القسط الأوفر من الأحاديث، وأبو هريرة الذي روى بعض الأحاديث وريحانة التي روت ماجرى لها مع أبي هريرة وأبو سلمة السعدي ومعن بن سليمان وكهلان وثابت القيسي وأبو عبيدة وحرب بن سليمان " وزيادة السعدي، وإن جعل المتن في الرواية يدور على شخصية متخيلة تبتعد عن الشخصية التراثية ، وتخالفها في تصرفاتها وسلوكها وتفكيرها هو شرط رئيس لابد منه في الرواية التي يشترط فيها لكي تكون الرواية وجود شخصية واحدة على الأقل يدور حولها السرد،ويكشف أبعادها النفسية والفكرية والاجتماعية

وقد اقتضى وجود شخصية متخيلة في أحاديث أبي هريرة وجود مكان وزمان تتحرك فيهما الشخصية وتدور في إطارهما الأحداث،وقد اختار الكاتب لروايته البيئة العربية الإسلامية، فالمسعدي لايقلد النوع السردي التراثي، ولايبقى أسيرًا له بل يتعامل معه بجرأة ووعي،فهو لاينسخه ، بل يعيد خلقه من جديد ليكون ملائمًا للتعبير عن روح العصر.

ومنه فقد استفاد المسعدي من البنية الفنية للحديث الشريف في بناء روايته ، واتخذ الشكل التراثي للتعبير عن الحضارة الجديدة، لذا جاءت الرواية محكومة بثنائية القديم والجديد ، وعبرت عن الصراع بينهما بين ثقافة الماضي وثقافة الحاضر كما عبرت عن المثاقفة بطريقة أخرى ، واعتمدت المواجهة وإثبات الذات أمام الآخر.

ولعل المهمة التي تنطع لها المسعدي ، وهي إثبات مقدرة الشكل السردي التراثي على التعبير عن روح العصر والحضارة الجديدة ، كانت وراء توظيف الشكل التراثي على مستوى البناء الفني للرواية .

وتحتفي تجربة المسعدي الروائية باللغة والأسلوب إلى درجة أن استعمالات المسعدي المبتكرة أسست نمطًا في الكتابة استقطب بعض المردين والأنصار من الكتاب والشبان في الرواية المغاربية .

4- القصة الدينية في رواية "رمل الماية" فاجعة الليلة السابعة بعد الألف" 1993 لواسيني الأعرج:

وظف واسيني الأعرج قصة أهل الكهف في رواية "رمل الماية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف، واستفاد واسيني الأعرج من قصة الكهف في بناء أحداث قصة "البشير المويسكي "بطل رواية " رمل الماية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف"، ويزج بطل روايته في أحداث تشبه الأحداث التي نجدها في قصة أهل الكهف، وترتكز طريقة توظيف الرواية للقصة القرآنية إلى الاختلاف والمشابهة ، فالبشير الموريسكي يختلف عن أهل الكهف في أثناء نومه .

ومنه فقد نجح واسيني الأعرج في توظيف التراث الديني من خلال استلهام القصة الدينية بطريقة فنية مغيرًا بعض الأحداث واتبع في ذلك طريقة الاختلاف والمشابهة .

رابعًا – تمثل التراث في الكتابة الروائية المغاربية الجديدة :

عاد كتاب الرواية إلى التراث العربي ودرسوه ، وحاولوا استلهامه، وجرى توظيف التراث العربي من بابه الواسع وأشكاله المختلفة ، وسنقف عند حضور بعض مظاهره .

1 توظيف التراث في رواية "مدونة الاعترافات والأسرار 1985" لصلاح الدين بوجاه :

تعد رواية "مدونة الاعترافات والأسرار" لصلاح الدين بوجاه أهم رواياته لما شملته من تصور نظري عن أهدافه وأفكاره حول مشروعه الروائي .

أ –منهجية الكتابة الروائية عند صلاح الدين بوجاه :

إن غاية الروائي التونسي صلاح الدين بوجاه هي تحطيم الشكل التقليدي للرواية ، ومحاولة تحديث الرواية العربية انطلاقًا من التراث لامن الرواية الغربية ، التي كانت سببًا في جنوح الرواية إلى الذهنية والواقعية .

تتميز تجربة صلاح الدين بوجاه بنزعة تجريب اختلفت عن التجارب الروائية العربية السائدة، و يعد صلاح الدين بوجاه من المتحمسين للتجديد ، ففي مدونة الاعترافات والأسرار حدد المؤلف نهجه التجريبي في الكتابة، فهو يطمح إلى صياغة تجربة مضادة للرواية العربية الحديثة والوسيطة قدم فيها بمقدمة نظرية وضع فيها فهمه لآليات الحكي وأهدافه ، ومنها : تحدث عن أشكال التشخيص في الفن الروائي ،وأشدها واقعية ذاك النمط الذي لايدعي بأي وجه من الوجوه دقة فعلية في تصوير الواقع المرجعي الخارجي ،وبشر بكتابة روائية جديدة يسميها ب"الرواية اللغوية"،ويعتبرها الوريث الموضوعي للرواية الذهنية والواقعية في الآن ذاته انطلاقًا من احتوائها لخصائص كل منهما وتجاوزهما معًا نحو عمق استقراء لغة وفكر وثقافة بأكملها .

ب –شكل الكتابة التراثية في رواية "مدونة الاعترافات والأسرار" :

إن الروائي على الرغم من أنه بنى روايته على التراث إلا أنه لم يستسلم للتراث ، ولم يسمح له بالهيمنة على النص الجديد، بل صدر روايته بمناصين خارجيين :أولهما:ينتمي إلى التراث، وهو نص منتزع من كتاب"الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي، وثانيهما ينتمي إلى ثقافة الحاضر، وهو نص منتزع من ديوان "مجنون إلزا" للشاعر الفرنسي أراغون ، والنص الأول يعبر عن شكل الكتابة من خلال التقعيد لأحسن الكلام بحسب رأي أبي حيان التوحيدي، فإن النص الثاني يعبر عن مضمونه من خلال توحد الشاعر بالشعب.

وهكذا فإن رواية "مدونة الاعتراف والأسرار" سعت لاستغلال الشكل التراثي للتعبير عن المضمون المعاصر.

ج– بناء الرواية على فن الخبر :

تتألف رواية "رواية "مدونة الاعترافات والأسرار" على عادة القدامى من قسمين أحدهما: المتن وثانيهما الحاشية وقد خصص الكاتب المتن لمدونة الاعتراف والأسرار، وخصص الحاشية لكتاب المجالس والحلقات ، وكلاهما يتألف من مجموعة من الأخبار ، وقدَّم صلاح الدين بوجاه الواقع من خلال فن الخبر؛ أي أنه صوَّر الواقع من خلال فن الخبر ؛ أي أنه صور الواقع من خلال الشكل التراثي ، وجعل الشكل السردي التراثي وسيلة للتعبير عن الواقع وساهم بذلك في تأصيل الشكل الروائي العربي .

د– مظاهر الخبر في رواية مدونة الاعترافات والأسرار : تجلت مظاهر الخبر في هذه الرواية في ظاهرة الإسناد وتعدد الروايات ، والحكاية ، والإيجاز ، والتكثيف والتلميح ، وأسلوب الخبر، وقد حذت رواية "مدونة الاعترافات والأسرار" لصلاح الدين بوجاه حذو حكايات الشطار والعيارين، فركزت اهتمامها على شخصية محورية ، وهي شخصية "أبي عمران

سعيد" التي بدت شديدة الشبه بشخصيات الشطار والعيارين والمكدين ، وهو شخصية مهمشة ولذا عمد الكاتب إلى إلغاء الفاصل الزمني بين الماضي والحاضر والتاريخي والواقعي .

هـ- توظيف فن الرسائل في رواية "مدونة الاعترافات والأسرار" :

إن رواية "مدونة الاعترافات والأسرار " لصلاح الدين بوجاه هي في سبيل الوصول إلى رواية عربية خالصة فن كتابة الرسائل في الرواية إلى جانب فن الخبر شيَّد عليه معمار روايته، فثمة وحدتان سرديتان مبنيتان على فن الترسل،هما:من أبي عمران سعيد إلى صاحب الكتاب "ومن "صاحب الكتاب إلى أبي عمران سعيد "وقد اختط بوجاه في الرسالتين طريقة تقترب من الموروث السردي عن طريق محاكاته من ناحية، وتبتعد عنه من ناحية أخرى .

2- استلهام التراث في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" 1999 للطاهر وطار :

يعد نص "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" أهم مشروع الطاهر وطار ، فهو رامز وملغم بالتقاطعات الميولوجية المستلهمة من التراث، والجديد في هذا السياق – في نظر بلحيا الطاهر – أن الطاهر وطار يبدع سطورته الخاصة،كما يتصورها في واقعه الإبداعي الحالم ،وهي تلك الاسطورة المستلهمة من الفكر الميولوجي العالمي

حاول الكاتب استغلال مجموعة من الأساطير العالمية ،بحي مزجها بفكرة الولي الطاهر المتصوف ،وبشيء من التداخل الفني المبهر ميثولوجيًا ليطبقها عكسيًا، فيظهر إلى الوجود هذا الرمز الفريد المتفرد المسطح المتمثل في شخصية الولي الطاهر ، وقد اعتمد الطاهر وطار في بناء متخيل الرواية على صور ومشاهد قادمة من عمق التاريخ تارة ومن راهن الحياة تارة أخرى ،ومنه فقد وظف الطاهر وطار أشكال التراث لخدمة مشروعه الإيديولوجي .

خامسًا- النسق العجائبي في الكتابة الروائية المغاربية الجديدة :

تزايد الإقبال على العجائبي في الراويات المغاربية المعاصرة، فظهر ذلك عند الطاهر بن جلون في روايته ليلة القدر 1989، والطاهر وطار في رواية"الحوات والقصر" 1973،وكذلك في روايات الميلودي شغموم .

1- العجائبي في روايات الميلودي شغموم :

ظهر الشكل العجائبي في روايات الميلودي شغموم "عين الفرس"1988 وشجر الخلاطة 1995 والأناقة 2001 وسنركز على العجائبي في رواية عين الفرس .

أ- العجائبي ومحاولة الإمساك بالأنا في رواية "عين الفرس"1988 لميلودي شغموم :

تقع رواية "عين الفرس" لميلودي شغموم في نظر قوانين التطور الروائي في مفترق الطرق، ذلك لأنها تعيد إنتاج بعض عناصر العالم الروائي السابق عليها ،فهي تضع من جانب آخر عوالم السرد من حيث هي موضع تساؤل ونقد صارمين، ومامميِّز الرواية هو الطابع العجائبي فيها تضفي رواية "عين الفرس" إمكانية اتجاه الكاتب نحو رواية الخيال العلمي تارة، ونحو الرواية الصوفية تارة أخرى، فالزمن المستقبلي والتوقع وغرابة التحولات التي يسبرها هذا التوقع وإن الطابع العجائبي عندما يقترن بعدم الفهم وبالرغبة في التفسير يصبح نوعًا من الأسطرة للواقع.

ب- البنية الشكلية لرواية "عين الفرس" لميلودي شغموم :

وفي دراستنا لمكونات البنية الشكلية لرواية "عين الفرس" نجد أنها :

- تركيز الاهتمام في التشخيص النقدي للواقع على العجائبي ،ومافوق الطبيعي، فالوقائع والحكايات لاتستمد أهميتها من واقعيتها ، ولا من احتمال وقوعها ، بل من لاواقعيتها بما أنها غير قابلة للفهم ولا للإدراك .
- بروز مفهوم الشخصية التي تجسد الضعف والعجز .

- اصطناع السّرد المركب حيث يتعدد السَّاردون وتتكاثر الحكايات والوقائع، وتتناظر أوضاع السرد والساردين.

نلاحظ اشتغال رواية "عين الفرس"على النسق العجائبي ، ومنه تميزت الكتابة العجائبية عندْ الميلودي شغموم بالإبداع في توظيف المتخيل العجائبي ،والجمع بين الرؤيا الصوفية و الخيال العلمي .

2- اللغة الروائية في رواية "عين الفرس" لميلودي شغموم :

تقوم اللغة بدور أساسي في تحديد البناء الشكلي لعين الفرس" فهي لغة متعددة المستويات من حي أساليب التشخيص فإلى جانب لغة السرد العام التي تضمن تلاحم الخطاب من حيث أساليب التشخيص،فهناك لغة المقال السجالي الممتزجة بلغة البوح الشعري وبالوصف المشهدي الطقوسي البالغ الشفافية .

ومنه الأبنية التي يتحدد في إطارها الشكل الروائي لعين الفرس هي: التمثيل العجائبي والأسطوري للواقع الشخصية الساردة لخيبة الأمل واليأس ،السرد المركب ،اللغة ذات البناء الهجين والساخر .

وفي هذا السياق نحن في حاجة ماسة للتفكير في هذه العلاقة التي رهنت بناءها الداخلي على مجموعة من الصيغ والأدوات العجائبية ،التي لاتستحضر أسرارها منذ القراءات الأولى ،القراءة تبدأ بالاصطدام منذ السطر الأول أحيانًا والمسألة لاتطرح فقط على الصعيد اللفظي والجملي، ولكنها تتعدى ذلك باتجاه تقنيات الكتابة ، والدلالات التي تفترض من إعادة تركيب دقيق للنص من أجل التأويل الأقرب إلى خدمة القراءة .

سادسًا - التخييل في الكتابة الروائية المغاربية الجديدة :

شكل موضوع البحث عن الذات ومساءلتها هاجسًا كبيرًا لدى كتّاب الرواية، وهناك من تبحر في فضاءات تخيلية في بحثه عن ذاته ، وفي هذا المجال سنركز على كتابات عبد القادر الشاوي .

1- التخييل الذاتي في رواية "من قال أنا "لقاء مُخطًا مع الموت" 2006 لعبد القادر الشاوي:

يعد النص الروائي "من قال أنا "لقاء مُخطًا مع الموت" لعبد القادر الشاوي من النصوص الروائية الجديدة، وقد حرص الروائي على وضع عبارة فوق الغلاف " تخييل ذاتي" ليحدد الجنس التعبيري، الذي ينتمي إليه نصه الجديد وينطلق النص من تجربة مرض السرطان الذي بعبد القادر الشاوي، والكتابة عن تجربة فيزيقية ووجودية بهذا الحجم تضع الإنسان وجهًا لوجه أمام حياته برمتها .

إلا أن البناء الذي اختاره الكاتب جعل العناصر الأوتوبيوغرافية تلامس في الآن نفسه الشكل الروائي ، إذ يتخيل صديقًا جاء لعيادته في المشفى، ولجوء عبد القادر الشاوي إلى التخييل الذاتي هو وسيلة لمجاوزة استحالة كتابة السيرة الذاتية المستندة إلى هوية سردية مطابقة،إنه يوعظها بهوية سردية تستثمر الأوتوبيوغرافي وتمزجه بالصوغ التخييلي الروائي المتعدد الأصوات والمنظورات واللغات، ونحن أمام تنويع من تنويعات التخييل الذاتي التي بدأت تطغى على الكتابة السردية، وإن بحث عبد القادر الشاوي عن هوية سردية تحرره من قيود السيرة الذاتية بمفهومها المعتاد ،جعله يشرك القارئ في متابعة تكوّن وصنع هذا التخييل الذاتي نفسه .

2 -محاور الكتابة الروائية عند عبد القادر الشاوي :

وفي مؤلفات عبد القادر الشاوي في التجليات مايؤكد الحضور القوي لسؤال الكينونة هذا: إدراك الذات عبر إدراك تقاطعها بالآخرين ، وفي المحاور التالية :

* الوقوف على خصوبة مرحلة فكرية كان لها شأنها في صياغة "الوجدان الوطني".
* تقصي التجربة السياسية والذهبية لحزب وطني، أو لحركة اليسار الجديد بالمغرب.
* البحث في نمط العلائق ،التي ينسجها الإبداع القصصي بالمغرب مع مرجعه .
* الكتابة عن الذات والتقاط بعض مفاصلها التكوينية وتحولاتها المباغتة، التي انتهت بها أن تلتذ بأوهام الكتابة وأن تعاني من آلام الأسر.

وتلك إجمالًا مدارات الكتابة التي سار عليها عبد القادر الشاوي ، والتي أطرت مشروعه الروائي .

ومنه فقد توجه بعض الروائيين المغاربة في العقود الأخيرة من القرن العشرين إلى توظيف التراث بهدف تأصيل الرواية العربية في الموروث السردي، واتسمت المحاولات التي بذلها الروائيون في توظيف التراث بالتجريب ، وذلك بسبب عدم وجود شكل محدد للرواية ، التي عرفت بتأبيها على الانضواء تحت شكل معين، وبمرونة فائقة في شكلها تأتت من لها قدرتها على الانفتاح على الأنواع الأخرى، وهناك فرق بين الرواية التاريخية وتوظيف التاريخ .

وكما أن توظيف الشخصية التاريخية فيها أشكال ظهورها، وهي الاستدعاء بالاسم ، والاستدعاء بالقول ، والاستدعاء بالفعل ، وقد ظهر فن الخبر في الرواية العربية المعاصرة من خلال خصائصه المميزة ،كظاهرة الإسناد وتعدد الروايات والحكاية والإيجاز وتعدد الروايات والحكاية والإيجاز والتكثيف والتلميح والأسلوب ، وبدت بعض النصوص الروائية المغاربية المعاصرة شبيهة بأسلوب الكتابة في القرن الرابع الهجري ، وذلك في محاولة لتحطيم الشكل التقليدي للرواية العربية وتحديثها انطلاقًا من التراث العربي .

وحاول بعض كتاب الرواية المغاربية طرح نسق جديد للكتابة الروائية من خلال استلهام المادة التاريخية أو الدينية أو محاكاة القصص الشعبية أو العجائبية ، وقدموا مقترح الرواية الخيالية أو الرواية الصوفية أو الرواية اللغوية...الخ وهي محاولات طمحت إلى الوصول لرواية مغاربية جديدة ، والتخلص من هيمنة الشكل التقليدي للرواية ، والارتقاء بالكتابة الروائية إلى مستوى الإبداع الفني.